مجتمعنا فى العيد

للدكتور سيد نوفل

مدير السكرتارية الفنية بوزارة المعارف

[illegible] المجتمع المصرى طبقتان كبيرتان تتفرع منهما طبقات كثيرة ، ولكل طبقة طريقتها ورسومها الاجتماعية الخاصة ، ولكن هذه الطبقات جميعاً تجمعها الروح المصرية ، وما تسبغه على كل مصرى من ألوان متشابهة فى الحياة .

ومثل هذه الطبقات مثل فروع الشجرة الكبيرة تخرج من أصل واحد فلكل فرع مميزاته وخصائصه ، واستقامته أو التواؤه ، وكبره أو صغره ، لكن هذه الفروع الكثيرة تتشابه فيما بينها وتجمع مميزات الشجرة الكبيرة ، من الشكل ، والثمر ، والخصائص النباتية.

والطبقتان الكبيرتان التى نقصد إليهما ، هما طبقة المدنيين ، وطبقة الريفيين .

فالمدنيون فى العيد ينزعون إلى ألوان من الترفيه والرياضة ، والريفيون ينزعون إلى ألوان أخرى . بل قد يصح القول أن المدنيين يتجهون فى العيد نحو الريف ، وأن الريفيين يتجهون فى العيد نحو المدينة .

ومهما كان الأمر فالمدنيون طبقات ، والريفيون كذلك . ففى المدينة ، يشترك عظماء الريف من أنحاء الوطن ، يتجهون صباح العيد إلى الجالس على العرش ، مليك البلاد المحبوب ، فيؤدون واجب التهنئة ، ويرفعون آيات الولاء والإخلاص .

يحس [illegible] الوطنيون [illegible] يجتمع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وأن أمة تتوحد نزعاتها [illegible] ويرفرف عليها تاج مفرد [illegible]
لحقيقة بالمجد وجديرة بالعظمة والخلود .

ويعود هؤلاء العظماء من مواكبهم بعد أن تزودوا بهذا الزاد الوطنى العظيم ، فيستقبلون المهنئين بالعيد ، ويتبادلون مع الوافدين عليهم أحاديث المسرة ، ويتذاكرون معهم حوادث الساعة ، ويفيضون من روحهم التى ارتشفت المعانى الملكية على زائريهم ، وهؤلاء يفيضون على غيرهم . وهكذا يكون العيد ميداناً من ميادين الخدمة الوطنية والخير العام .

وبعد هذا يتجه الكثيرون منهم إلى الريف ، يريدون معنى تبديل الحياة ، ونسيان بيئة العمل ، كى يتهيئوا بعد العيد لعمل جديد ، ينفعون به وطنهم فى حاضره ومستقبله .

وهم حين يذهبون إلى الريف يجتمع بهم القرويون الذين يشعرون بالسعادة البريئة في هذا الاجتماع ، وترتاح نفوسهم برؤية هؤلاء الذين يملأون السمع والبصر ، ويتذكرون أيامهم الخوالي التي نشأوا فيها بينهم ، ودرجوا على قريتهم ، فلا يثير ذلك في نفوسهم حقدا ، وإنما يبعث فخرا بهذه القرية الخصيبة الجواد ، وبهذه البيئة الصغيرة المعطاء التي أخرجت رجلا أو رجالا يملأ ذكرهم عاصمة البلاد بل غيرها من عواصم العالم .

ومثل سعادتهم بهذا الاجتماع مثل سعادة الفقراء القرويين في قصة "الأمير السعيد" لأوسكاروايلد .

فهؤلاء الفقراء كانوا إذا مروا بتمثال الأمير السعيد يتسامى رفعة وتزينه صفائح الذهب . وتتألق في عينيه الأحجار الكريمة ، إذا رأوا كل هذه المظاهر الجميلة الجليلة الخلابة صاحوا فرحين : إنا سعداء لأن في هذه الدنيا سعداء .

وقد صدقوا فليس أسعد من انسان يبرأ من الحقد والضغينة ، ويجد في الحياة ألوانا من السعادة ، وفي مظاهرها طوائف من المسرات ، ويستطيع أن يجد في كل رائع جميل ، سواء أكان في حيازته أم في حيازة غيره ، معنى مفرحا ، وشيئا سارا .

وأي شقاء أعظم من شقاء ذلك الحسود الذي ينطوي على الألم ، وينكفيء على الحزن ، حين يرى أو يتصور غيره أسعد منه لمعنى تافه من معاني الحياة التافهة ، أو لعرض زائل من أعراضها .

إن المرء هو الذي يسعد نفسه وهو الذي يشقيها ، يسعدها حين يتصور الحياة وان حفت بها المتاعب ، باقة من الزهر ، ويشقيها حين يتصور الحياة ، وان اكتنفتها المسرات ، مهدا من الشوك .

ولو درى لعلم أن أعراض الحياة ، ومظاهرها البراقة ، لاتكسب هناءة ولا سعادة ، بل لعلها تكسب نقيضها من القلق والشقاء ، وأن بصر الانسان كلما وصل الى أفق يبغي الوصول اليه ، تفتح أمامه أفق جديد أوسع مدى وأبعد غاية . وهكذا يظل طوال حياته في سفر دائم وتطلع مستمر ، لايوقفهما ما يبلغه من شؤون الحياة ، وإنما يسرع بهما الخطى ، ويزيد في مشقتهما .

إنما السعادة الحقة في أن يحسن كل امرئ عمله ، وأن يؤدي واجبه الوطني على أتم وجه ، وأن يسعد أهله وأسرته ، وألا يغتال مال الغير بغير حق ، وأن يكون نزيها في تصرفاته ، عدلا في حكمه ، جريئا في إبداء رأيه .

فالفضيلة تسعد صاحبها ، إذ يرتاح اليها ضميره ، وتسكن نفسه ، والرذيلة تشقى ، إذ ينكرها ضميره ، وتثور عليها روحه ..

والضمير والنفس هما أساس السعادة والشقاء دائما .

ويمضى فريق العظماء العيد بين الريفيين ، متمتعين بهواء الريف النقى ، وهدوئه المسعد ، وبعده عن ضوضاء المدينة التى ترهق الأعصاب ، وأنوارها التى تكفل البصر ، وعجاجها الذى تضيق به النفس .

ثم يعودون إلى المدينة بعد جازتهم ليتهيأوا للعمل من جديد ، وقد ألم بهم حنين إلى المدينة التى سرت معانيها فى دمائهم ، وأشربت بها قلوبهم .

وهناك طائفة أخرى هى طائفة الأغنياء المتبطلين الذين ورثوا الغنى ولم يرثوا العمل . وهؤلاء يتزعون فى العيد إلى ألوان من الاسراف فى المجانة والعبث ، أو ينغمسون فى الكسل انغماسا أو يضيقون بهذه الفرصة التى تهيئ للعامة اشتراكا فى معانيهم من ناحية العموم ، وإن اختلفت معانى كل طائفة من ناحية الخصوص .

وطائفة ثالثة تضيق بالمجتمع ، وتتوفر على ألوان من الحياة الفكرية والذهنية . وهؤلاء يفرون فى العيد فرارا ويلوذون بأكناف مكان قصى يقضون فيه العيد ، وينجون من ضيق المقابلات وأسر الاجتماع .

أما طائفة العمال والصناع . فهؤلاء يفتحون قلوبهم للعيد ، ويشعرون فيه بأحلى المعانى وأكرم الشعور ويتمتعون به خير متاع .

لقد تعبوا لحق لهم أن يستريحوا ، ولقد جهدوا لحق لهم أن ينعموا . إنهم يأكلون ويشربون ، ثم يطلقون حناجرهم بالهتاف والغناء ، ويتزودون بمزيد من الطعام يحملونه إلى الحدائق ، كى ينطلقوا بين الزهور والشجر ، ويتحرروا من كل عرف ، ويسيروا على سجيتهم يرقص منهم من شاء ، ويغنى من أراد ، ويصنع كل ما يقوده إليه الهوى ، ويطمئن المرح ويسعدون فى العيد أعظم السعادة .

وجملة الريفيين يسلكون فى العيد مسلكا متشابها ، وإن وجدت فيه طبقات كذلك .

إن عامتهم يستيقظون فى الصباح الباكر ، فتتجه نفوسهم المؤمنة إلى الله يؤدون الفريضة ، ثم يجلسون مكبرين مهللين ، مشاركين لإخوانهم الحجيج فى هتافاتهم الدينية ، وذاكرين أنعم الله على دينه وصاحب رسالته ، إذ أعز جنده ، وهزم الكفار وحده ، وأتم دينه ، وأكمل نعمته .

ثم يخرجون من الصلاة ليزوروا أهليهم وأصدقاءهم الذين رحلوا عنهم . وبعد ذلك يبسطون موائدهم أمام المنازل ، أو فى بيت كبير لأسرة . حتى إذا فرغوا من الطعام أقبل عليهم العمدة ومشايخ البلد مهنئين مسلمين .

وبعد قليل يعرجمهم بالعمدة والمشايخ ردوا أبواب المدينة، ثم ينساب كل إلى منازل أهله وأقاربه وأصدقائه يتبادلون المسرة والود .

وإذا كان اليوم الثانى اتجهت كثرتهم نحو المدينة كى يشاطروا أهلها ألوان حياتهم التى تبهرهم ، وإن لم تثر فى نفوسهم حفيظة ولا غلا .

هذا طرف من الصور الشائعة فى مجتمع فى العيد ، وبذا نرى طائفة [illegible] نشهد أمثالا لها .

وإن السعيد من استقبل العيد بقلب فرح ، ونفس مطمئنة ، وطرح عنه المتاعب ، وألق عن عاتقه المشقات ، ثم أقبل على العيد بنفس [illegible] ، [illegible] ، ويسعد ويسعد [illegible] معه ، ويأخذ من الراحة أعظم قسط يمكنه من استئناف العمل بعد العيد ، ومواصلة الجهاد فى الحياة .

أسعدنا الله جميعا ، وكتب لهذا الوطن التوفيق والمجد فى ظل عاهله العظيم فاروق الأول .

دكتور

سيد [illegible]

للإمام على كرم الله وجهه

[illegible]

فى [illegible] عيش [illegible] .